كتاب

القول السديد في صفة المريد

للعلامة المحدث

محمد بن محمد الحجوجي الحسني

1297–1370هـ

ويليه

القول المحكم في صفة المقدم

له أيضا

اعتنى بهما

أبو عمر عدنان بن عبد الله زهار

الحمد الذي ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان، وخصهم بين عباده بخصائص الإحسان، فتهيأت قلوبهم لقبول الإمدادات القدسية، واستعدَّت لورود الأنوار العلوية، فنظروا للدنيا ولذَّاتها بعين الاحتقار، وتأملوا في مصيرها فأعرضوا عنها وأقبلوا على عبادة الرب القهار، فامتدَّت إلى المعالي أعناقهم، وطمحت إلى العالم العلوي أحداقُهم، فصار لأرواحهم حول العرش تطواف، ولقلوبهم من خزائن المواهب الربانية إسعاف؛

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد والشك واليقين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين، وعلى سائر عباد الله الصالحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلما كانت طريقة أهل الله مؤسسةً على الكتاب والسنة، مشيدة الأركان لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، محفوظة منه بحفظ الحكيم العليم الحنان المنان، وكان أهلها المُحِقون فضَّلهم الله على الكافة من عباده، بعد رسله وأنبيائه، وجعلهم الطائفة العليا والصفوة المختارة من أحبائه، فهم الغياث للخلق، والرائدون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، أوقفهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية، واقتفى المريدون أثرَ الشيوخ، وحصل لهم في اقتفائهم لهم شموخ ورسوخ، ثم بعد ذلك انعكس الحال، وتبدلت الأحوال، ولم يبق إلا الأثر، واندرست الطريقة فلم يبق لها بين المحقين خبر:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

مضى الشيوخ الأكابر، والمريدون المشاهر، وزال الورع وطوي بساطُه، واشتد الطمع وقوي رِباطه، وارتحلت عن القلوب حرمة الشريعة، وقوي الشحناء في الطريق والكبر والحسد والبغضاء والقطيعة، واستخف المريدون بالعبادات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، ثم لم يرضوا بما تدنسوا به من سوء الخلال حتى ادعوا أنهم من أعلى طبقات أهل الحقائق والأحوال فانعكست القضية، وعظم المُصاب والرزية، فبقوا في واد القطيعة والحرمان يسبحون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فمن أجل هذا المعنى حداني الباعث الإلهي والإلهام الرباني لوضع رسالة صغيرة الجِرم، كبيرة العلم، فيما لا بد للمريد منه في سلوكه وإرادته للوصول لحضرة العلي الأعلى جل وعلا، معنونا لها ب

"القول السديد في صفة المريد"

ومن الله تعالى أطلب التوفيق والتأييد، فإنه تعالى المنعم المتفضل على من شاء من العبيد.

قال عز من قائل: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين**﴾ فمن الأمور التي لا بد للمريد منها تحقيق عقائد الدين، وأركان عمده المتين، ومدارها على ثلاثة: الإيمان، والإسلام والإحسان.

أما الإيمان فهو التصديق الباطني، بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما عُلم من الدين بالضرورة، فالإيمان الواجب على كل مكلف هو التصديق بالله تعالى وأنه واحد أحد لا شريك له موجود ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء منفرد بالقدم بصفاته الذاتية والفعلية، فصفة فعله التكوين وصفات ذاته حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه حي عليم قدير والكلام له باق سميع بصير، ما أراد جرى، أحدث العالم باختياره، منزَّهٌ عن الحد والضد والصورة، لا يكون إلا ما يشاء لا يحتاج إلى شيء، وهو حليم عفو غفور.

والإيمان بالرسل وبكل ما جاءوا به وأنهم أفضل عباد الله، والإيمان بالملائكة بأنهم أمناؤه على وحيه، وبالكتب المنزلة بحقيقة ما فيها، وباليوم الآخر بشرائطه وتوابعه، وأولُه حين قيام الموتى وما بين ذلك إلى وقت الموت فهو البرزخ، والإيمان بالقدر بأن كل ما كان ويكون فبقدرة من يقول للشيء كن فيكون.

وأما الإسلام فهو التسليم الظاهر لما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الشهادتان للقادر على النطق بهما، وإقام الصلاة بإتقان شروطها من أحكام استبراء وطهارة صغرى وكبرى حسبما جاءت به السنة، وأداء الزكاة بشروطها وأركانها، وصيام رمضان بشروطه، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا بشروطه وأركانه.

وأما الإحسان فهو أن تعبد الله كأنك تراه، بغاية المراقبة ونهاية الإخلاص والتمسك بالتقوى، فإنه السبب الأقوى. فالإيمان مبدأ والإسلام وسط والإحسان كمال. والدين الخالص عبارة عن هذه الثلاثة؛ هنيئا لمن صح إسلامه ونال من الدين أوفر نصيب، أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام وحج وزار الحبيب.

ومنها أي من الأمور التي لابد للمريد منها **الصدق**، قال في الرسالة "القشيرية"[1]: "أول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصح صحيح. وإنما حُرِموا الوصول، لتضييعهم الأصول، فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الضلال والبدع، صادر عن البراهين، والحجج. ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب ممن ليس من أهل هذه الطريقة. وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل قول، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب. والناس إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود، فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال، ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة[2] للقوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا وتبركوا به. ولولا مزية وخصوصية لهم وإلا كان الأمر بالعكس".اهـ

ومنها الورع، في الحديث: «ملاك الدين الورع» أخرجه أبو الشيخ ابن حبان[3]، وقال عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة: «كن ورعا تكن أعبد الناس» الحديث أخرجه البيهقي[1] عن أبي هريرة.

---

[1] "الرسالة القشيرية" ص 180

2 في أصل النسخة "وإماما"

3 عن عبادة بن الصامت وفي الباب عن أبي هريرة عائشة عند البيهقي في "شعب الإيمان" وعن ابن عباس عند الخطيب في تاريخ بغداد" وعن أبي هريرة في كتاب "العلم" لابن عبد البر.

وسئل الإمام الشبلي عن الورع فقال: الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين. وقال أبو سليمان الداراني: الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف الرضا. وقال يحيى بن معاذ: الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل. وسئل الخواص عن الورع فقال: الورع أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضي، وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله تعالى. وقال أيضا: الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة. وقال ابن أدهم: الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك.

ومنها التوبة، قال الله تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلك تفلحون**﴾، وفي الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود والحكيم الترمذي عن أبي سعيد الخدري[2].

وأخرج ابن النجار والقشيري في رسالته[3] عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا احب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾. قيل: يا رسول الله، وما علامة التوبة؟ قال: الندامة»، وفي "الرسالة القشيرية"[4] بسنده إلى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب»، التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين.اهـ

فالتوبة هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب، والتوبة النصوح هي توثيق العزم على أن لا يعود لمثله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على أن لا يعود. وقيل: التوبة النصوح أن لا يبقى على علمه أثرا من المعصية سرا وجهرا. وقيل: هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وآجلا. وقال أبو علي الدقاق: التوبة على ثلاثة

---

1 "شعب الإيمان" 238/12

2 "سنن ابن ماجه" ح 4240، و"نوادر الأصول" 2/203

3 "ذيل تاريخ بغداد" 56/3، "الرسالة القشيرية" ص 44

4 "الرسالة القشيرية" ص 44

أقسام: أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة، فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة وهي من صفات المؤمنين، وكل من تاب طمعا في الثواب فهو صاحب إنابة وهي صفة الأولياء والمقربين، ومن تاب مراعاة للأمر لا لرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة وهي صفة الأنبياء والمرسلين. وقال الجنيد: التوبة على ثلاثة معان: أولها الندم والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه والثالث السعي في أداء المظالم. وسئل بعضهم عن التوبة فقال: التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم. وسئل النوري عن التوبة فقال: أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل.

ومنها التقوى: قال الله تعالى ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أوصيني، فقال: «عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير»[1] الحديث، وجاء في تفسير قول الله عز وجل ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ أن معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

وقد اختُلف في حقيقة التقوى، فقيل: هي الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا. وقيل: محافظة الآداب الشرعية. وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى. وقيل: مجانبة كل ما يبعده عن الله تعالى. وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهي. وقيل: أن لا ترى في نفسك شيئا سوى الله. وقيل: أن لا ترى نفسك خيرا من أحد. قال بعض الأكابر: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول: ﴿**وللدار الآخرة خير للذين يتقون**﴾. وقال غيره: من تحقق في التقوى هوَّن الله على قلبه الإعراض عن الدنيا. وكان ابن عطاء يقول: للتقوى ظاهر وباطن، فالظاهر محافظة الحدود وباطنه النية والإخلاص. وقال ذو النون:

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم   تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه   كما سكن الطفل الصغير إلى الحجر

1 رواه أبو يعلى الموصلي في "مسنده" 203/2 عن أبي سعيد الخدري.

وكان بعض الصوفية يقول: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه. وعن مولانا علي كرم الله وجهه قال: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.

ومنها المجاهدة: وهي في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع، قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾، قال أبو علي الدقاق: من زيَّن ظاهرَه بالمجاهدة حسّن الله سرائره بالمشاهدة. وقال أبو عثمان المغربي: من ظن أنه يُفتح له شيء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو في غلط. وقال أبو علي الدقاق: قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر. وقال السري: يا معشر الشباب جِدوا قبل أن تبلغوا مبلغي، فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت. وقال الحسن القزاز: بُني هذا الأمر على ثلاثة أشياء، أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة. وقال إبراهيم بن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات، أولها أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة، والثاني أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل، والثالث أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر، والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. واعلم أن أصل المجاهدة وملاكَها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات. وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير: انهماكُها في الشهوات وامتناعها عن الطاعات، فإذا حجمت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى، وإن حزنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى، وإذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها، فما من منازلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن وتخمد نيرانه برفق، فإذا استحلت شراب الرعونة فضاقت، إلا عن إظهار مناقبها والتزين لمن ينظر إليها ويلاحظها، فمن الواجب كسر ذلك عليها وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخسارة أصلها وقذارة فعلها. وجهد العوام في توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال، فإن مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الأخلاق والتنقي عن سفاسفها صعب شديد.

ومن غوامض الآفات ركونها إلى استحلاء المدح، فإن مَن تحسَّى منه جرعة حمل السماوات والأرضين على شفر من أشفاره، وأمارة ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشراب آلَ حاله إلى الكسل والفشل.

وقال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء، الأول ضعف النية بعمل الآخرة، والثاني صارت أبدانهم رهينة شهواتهم، والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل، والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق، والخامس اتبعوا أهواءهم، ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم.

ومنها الخلوة والعزلة: فالخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا أحد ولا ملك، والعزلة هي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع. وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: «إن من خير معايش الناس كلِّهم رجلا آخذا بعنان فرسه في سبيل الله إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه، أو رجلا في غنيمة له في رأس شعبة من هذه الشعاب أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير»، قال القشيري[2]: الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه. ويحكى عن أبي يزيد قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: كيف أجدك؟ قال: فارق نفسك وتعال. وقال ذو النون: لم أر شيئا أبعث على الإخلاص من الخلوة. وقال أبو عبد الله الرملي: ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المنجاة، فإما أن تموت أو تصل إلى الله. وقال يحيى بن معاذ: الوحدة جليس الصديقين. وقال الشبلي: من علامة الإفلاس الاستيناس بالناس. وقال الجنيد: من أراد أن يَسلم له دينُه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة. وقيل لبعضهم: هاهنا أحد تستأنس به؟ فقال: نعم، ومد يده إلى مصحفه ووضعه في حجره وقال: هذا. وفي معناه أنشدوا:

---

1 رواه النسائي في الكبرى" ح 8890

2 "الرسالة"ص 49

وكتبي حولي لا تفارق مضجعي   وفيها شفاء للذي أنا كاتم

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: خذوا بحظكم من العزلة. وقال ابن سيرين: العزلة عبادة. وقيل: اتخذ الله صاحبا، ودع الناس جانبا. وقال أبو الربيع الزاهد لداوود الطائي: عظني، قال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن: كلمات أُحفظن من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى؛ اعتزل الناس فسلم؛ ترك الشهوات فصار حرا؛ ترك الحسد فظهرت مروءته؛ صبر قليلا فتمتع طويلا. وقال الثوري: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال الفضيل: من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه. وقال ابن عباس: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا تُرى. وقال بعضهم: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة.

ومنها الزهد في الدنيا، «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة» أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي خلاد وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة[1]، والزهد في اصطلاح الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة. وقيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك. وقال الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلباس العباء. وقال السري: إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لا يرضاها لهم. وقال عبد الله بن المبارك: الزهد هو الثقة بالله تعلى مع حب الفقر. وقال أبو سليمان الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى. وقال بعضهم: من تكلم في الزهد ووعظ الناس ثم رغب في مالهم رفع الله تعالى حب الله تعالى وحب الآخرة من قلبه. وقال الفضيل بن عياض: جعل الله الشر كلَّه في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد.

1 "سنن ابن ماجه" ح 4091، "حلية الأولياء" 448/4، "شعب الإيمان" 457/21 . وفي"الحلية" 304/3، و"الشعب" 482/10.

ومنها الصمت، في صحيح مسلم[1] عن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»، قال بعضهم: الصمت سلامة، فالواجب أن يعتبِر فيه الشرعَ والأمر والنهي. والسكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال. والسكوت على قسمين: سكوت بالظاهر وسكوت بالقلب. وقال سهل بن عبد الله: لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت. وكان الدينوري يقول: الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر. وقيل لذي النون المصري: من أصون الناس لنفسه؟ قال: أملكهم للسانه. وقال ابن مسعود: ما من شيء يطول السجن أحق من اللسان. وقال علي بن بكار: جعل الله لكل شيء بابين، وجعل للسان أربعة أبواب: فالشفتان مصراعان والأسنان مصراعان. وقيل: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجرا كذا كذا سنة ليقِلَّ كلامُه. وكان الفضيل يقول: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وقال بعض الحكماء: إنما خلق الله للإنسان لسانا واحد وعينين وأذنين ليسمع ويبصر أكثر مما يقول. وقيل: عفة اللسان صمته. وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدى عليك.

ومنه الخوف، وهو توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، قال تعالى ﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾، وفي الحديث: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»[2]، وفيه أيضا «لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبدا»[3]. والخوفُ من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة. وقد فرض الله على العباد أن يخافوه فقال تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾، قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوِّم به الشاردين عن بابه. وقال أيضا: الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر. وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب

---

1 هذا سبق قلم من المؤلف رحمه الله لأن مسلما لم يرو هذا الحديث في "صحيح" وإنما رواه الترمذي في "سننه" ح 2330

2 رواه البخاري ح 4255 ومسلم ح 646 عن أنسبن مالك.

3 رواه الترمذي ح 1535 عن أبي هريرة.

عليه. وقال يحيى بن معاذ الرازي: مسكينٌ ابنُ آدم لو خاف من النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة. وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه. وقال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه. وقال بشر الحافي: الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب ميت. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل. وقال الحسين بن منصور: من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء سواه وسلط عليه المخافة وحجبه بسبعين حجابا أيسرها الشك، وإن مما أوجب شدة خوفهم فكرُهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم.

قال الله تعالى: ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**﴾، وكان أبو علي الدقاق كثيرا ما ينشد:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاعتززت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال [أبو][1] حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة، فلقي آدم فيها ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ما لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه.

ومنها الرجاء وهو تعلق القلب بمحبوب سيحصُل في المستقبل، وبالرجاء يحصل عيش القلوب واستقلالها. قال تعالى ﴿من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾، وفي الحديث القدسي: «عبدي ما عبدتني ورجوتني، ولم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفر لك ولا أبالي».

وقد اختلف الصوفية في حقيقة الرجاء فقيل: ثقة الجود من الكريم الودود، وقيل: رؤية الجلال بعين الجمال، وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب، وقيل: سرور الفؤاد

1 "أبو" مقحمة في الأصل.

بحسن المعاد، وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى. وكان أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: علامة الرجاء في العبد أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله تعالى في الدنيا وتمام عفوه في الآخرة. وقال يحيى بن معاذ الرازي: إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك وأعذب الكلام على لساني ثناؤك وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك.

ومنها الحزن وهو حال يقبض القلب عن التعرف في أودية أهل الغفلة وهو من أوصاف أهل السلوك، وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني والحاكم [1]عن أبي الدرداء أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يحب كل قلب حزين». وقال أبو علي الدقاق: صاحب الحزن يقطع من طريق أهل الله تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين. وفي التوراة: إذا أحب الله عبدا جعل في قلبه نائحة وإذا أبغض عبدا جعل في قلبه مزمارا. وقال سفيان بن عيينة: لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه. وقال بعض السلف: أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن. وكانوا يقولون: إن على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن.

ومنها الجوع وترك الشهوة، وقد كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع. قال يحيى بن معاذ الرازي: لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره. وقال سهل بن عبد الله: لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة. وقال يحي بن معاذ: الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة. وقال أبو سليمان الداراني: مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع. وقيل لسهل بن عبد الله: الرجل يأكل في اليوم أكلة، فقال: أكل الصديقين، قال فأكلتين قال: أكل المؤمنين قال فثلاثة، قال: قل لأهلك يبنون لك معلفا. وقال يحيى بن معاذ: الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفأ ناره حتى يحترق صاحبه. وقال أبو سليمان الداراني: لأن أترك من

1 "المستدرك" 340/6 وعزاه الحافظ نور الدين في "مجمع الزوائد" إلى الطبراني.

عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم من أول الليل إلى آخره. وقال مالك بن دينار: من غلَب شهوات الدنيا فذاك الذي يفر الشيطان من ظله.

ومنها الخشوع والتواضع، قال الله عز من قائل ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وأخرج ابن ماجه وابن حبان والحاكم[1] عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يتواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في عليين ومن يتكبر على الله درجة يضعه درجة حتى يجعله في أسفل سافلين». وأخرج ابن أبي الدنيا في "ذم الغضب"[2] عن محمد بن عمير العبدي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل». وأخرج أبو الشيخ[3] عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة تواضعي فإن الله يحب المتواضعين ويبغض المتكبرين». وأخرج أبو نعيم[4] عن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه صغير وفي أنفس الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير». وقال مجاهد: لما أغرق الله قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فجعله الله مقرا لسفينة نوح، وقيل: أوحى الله تعالى إلى الجبال أني مكلِّم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى عليه السلام لتواضعه. وقال بعض الفضلاء: جعل الله الشرف في التواضع والعز في التقوى، والحرية في القناعة. والتواضع والخشوع والخضوع بمعنى واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو الاستسلام والانقياد للحق وترك الاعتراض على الحكم، وقيل هو الخوف الدائم في القلب. قيل: من علامات الخشوع. وسئل بعضهم عن الخشوع، فقال: الخشوع: قيام القلب بين يدي الحق، سبحانه، بهم مجموع. وقال: من علامات الخشوع للعبد: أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك

---

1 ابن ماجه ح 4166 وصحيح ابن حبان 161.12 ولم أجده بهذا اللفظ عند الحاكم في مستدركه.

2 عزاه إليه السيوطي في "الجامع الصغير " 300/1 ورمز لضعفه.

3 لم أجده

4 "حلية الأولياء" 210/3

بالقبول. قال حذيفة: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع. وقال سهل بن عبد الله: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان. وقال محمد بن علي الترمذي: الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهوته وحيي قلبه فخشعت جوارحه. وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب.

ومنها مخالفة النفس، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾، وأخرج ابن أبي الدنيا في "محاسبة النفس"[1] أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله مقته. وأخرج السجزي في "الإبانة" عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم الهوى فإن الهوى يصم ويعمي»، وأخرج الطبراني وأبو نعيم في "الحلية"[2] عن أبي أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع»، وفي الحديث[3] عن جابر مرفوعا «أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة».

ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة، وسئل بعض المشايخ عن الإسلام فقال: ذبح النفس بعيوب المخالفة. وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل يقول ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾، وسئل الجنيد: متى يصير داء النفس دواءَها؟ فقال: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها. وقال أبو بكر الطمستاني: النعمة العظمى الخروج من النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل. وسئل عطاء عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى قال: رؤية النفس وأحوالِها وأشد من ذلك مطاوعة الأغراض.

---

1 "محاسبة النفس" ص 24

2 "المعجم الكبير" 110/7 و"حلية الأولياء" 9/3

3 رواه ابن أبي الدنيا في "قصر الأمل" ص 4

ومنها حسن الخلق، أخرج الطبراني في "الأوسط"[1] عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: "مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة". وأخرج الإمام أحمد وأبو داوود وابن حبان والحاكم[2] عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»، وأخرج الطبراني[3] عن ابن عباس مرفوعا «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»، وأخرج أبو الشيخ في "الثواب" عن أنس مرفوعا: «الخلق الحسن زمام من رحمة الله». وأخرج الديلمي في "مسند الفردوس[4]" قال: «الخلق الحسن لا ينزع إلا من ولد حيضة أو ولد زنا»، وأخرج الترمذي الحكيم[5] عن أنس مرفوعا «الخُلق الحسن وعاء الدين». وأخرج الطبراني[6] عن أسامة بن شريك مرفوعا «أحب عباد الله تعالى إلى الله أحسنهم خلقا»، وأخرج الديلمي في "مسند الفردوس" عن أنس مرفوعا «حسن الخلق نصف الدين»، وأخرج الطبراني في "الأوسط"[7] عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل، يا يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي وأسكنه حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري»، وأخرج الطبراني في "الصغير"[8] من حديث عائشة مرفوعا: «ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه». وقال يحيى بن معاذ: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وأخرج البيهقي في "الشعب[9]": قال وهب بن منبه: مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة

---

1 "المعجم الأوسط" 267/14

2 "المسند" 352/2"سنن أبي داود" ح 4062"صحيح ابن حبان" 80/2"المستدرك" 43/1

3 "المعجم الكبير"196/9

4 "مسند الفردوس" 2/ 135

5 "نوادرالأصول" 31/4

6 "المعجم الكبير" 197/1

7 "المعجم الأوسط" 272/14

8 "المعجم الصغير" 165/2

9 لم أجده عنده، وهو معلق عند القشيري في "رسالته" ص 111

الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تعاد طينا، وأخرج أيضا:[1] عن الفضيل بن عياض أنه قال: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق، وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات. وقال عبد الله بن عباس: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق، وقال عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره.

ومنها الإخلاص، وهو أن لا يطلب لعمله شاهدا غير الله، وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات، وقال الجنيد: الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله، وأخرج ابن أبي الدنيا في "الإخلاص" والحاكم[2] عن معاذ أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أخلص دينك يكفك القليل من العمل»، وأخرج النسائي[3] عن أبي أمامة مرفوعا «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه». وفي الحديث[4] عن أنس بن مالك مرفوعا «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين». وفي الحديث[5] القدسي يقول الله تعالى: «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي». وقال أبو عليه الدقاق: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق. وقال ذو النون: ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال

---

1 كذلك

2 "المستدرك" 329/6، ولم أجده في "الإخلاص والنية" لابن أبي الدنيا

3 "السنن الصغرى" ح 3089

4 رواه أحمد في "مسنده" 183/5

5 قال العراقي في "المغني" 171/4: رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلا يقول كل واحد من رواته: سألت فلانا عن الإخلاص فقال...وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي عن عبد الواحد بن زيد ن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى. وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد. ورواه أبو القاسم القشيري في "الرسالة" من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف.

ونسيان انتفاء ثواب العمل في الآخرة. وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

ومنها الحياء، وهو انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه، وهو نوعان نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس. وإيماني وهو أن يمنع المؤمن فعل لمعاصي خوفا من الله تعالى. وفي الحديث «استحيوا من الله حق الحياء فإن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم» أخرجه البخاري في "تاريخه"[1] عن ابن مسعود مرفوعا. وفي الحديث «استحيوا من الله حق الحياء من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء» رواه الترمذي[2] من حديث ابن مسعود. وفي الحديث «إن الحياء والإيمان قُرنا جميعا فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر» أخرجه الحاكم والبيهقي[3] عن ابن عمر مرفوعا. وأخرج ابن ماجه[4] عن أنس وابن عباس مرفوعا «إن لكل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء»، وفي الحديث[5] «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وفي الحديث[6] «إن أول ما يرفع من هذه هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوهما الله». وقال أبو عثمان: من تكلم في الحياء ولا يستحيي من الله عز وجل فيما يتكلم به فهو مستدرَج. وقال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا. وقال أبو سليمان الداراني: قال الله تعالى: عبدي إنك ما استحييت مني أنسيتُ الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة. وفي بعض الكتب: ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أرده ويعصيني فلا يستحيي مني.

---

1 لم أجده بهذا اللفظ عند البخاري في "التاريخ".

2 "سنن الترمذي" 2382

3 "المستدرك" 28/1 "شعب الإيمان" 217/16

4 "سنن ابن ماجه" ح 4171 وح 4172

5 رواه البخاري ح 5652 ومسم ح 53 عن عمران بن حصين.

6 أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" 260/11عن أبي هريرة

ومنها الحرية، وهي الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار؛ وهي على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار. وفي الحديث[1] «إنما يكفي أحدَكم ما قنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أدرع وشبر وإنما يرفع الأمر إلى آخره». وقال القشيري: الحرية أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيساوي عنده أخطار الأعراض. وقال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها». وقال الحافي: من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى، وفي "الرسالة القشيرية": واعلم أن معظم الحرية في خدمة الفقراء. سمعت أبا علي الدقاق يقول: أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام: إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما. وقال صلى الله عليه وسلم[2]: «سيد القوم خادمهم». وقال يحيى بن معاذ الرازي: أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار.

ومنها الذكر، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾، وفي الحديث عن أبي الدرداء مرفوعا[3] «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من أعطاء الذهب والورِق، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟، قالوا: ما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله تعالى». قال في "الرسالة"[4]: "الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر، والذكر على ضربين بين ذكر اللسان وذكر القلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب. فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه". وقال أبو علي الدقاق: الذكر منشور الولاية فمن

---

1 لم أجده.

2 رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" 187/10عن ابن مسعود.

3 أخرجه الترمذي في "سننه" ح 3299

4 "الرسالة القشيرية" ص 103

وفق للذكر فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل. وسئل الواسطي عن الذكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب. وقيل لأبي عثمان: نحن نذكر ولا نجد في قلوبنا حلاوة، فقال: احمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته.

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله؛ والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات. ومن خصائصه أنه جعل في مقابلته الذكر، قال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾. وقال سيدنا جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم. فقال: وما ذاك يا جبريل؟ قال: قوله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾. وقيل أن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه. وقال بعض العارفين: إن في الجنة قيعانا فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها فربما يفي بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: فتر صاحبي. وقال السري: مكتوب في بعض الكتب التي أنزل الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته. وأوحى الله إلى داوود عليه السلام: بي فافرحوا وبذكري فتنعموا. وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس. وقال سهل: ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب. وقيل: الذكر الخفي لا يرفعه الملك لأنه لا إطلاع عليه فهو سري بين العبد وبين الله عز وجل.

ومنها الفتوة وهي في اللغة السخاء والكرم، وفي اصطلاح الصوفي هي أن تؤثر الخلق على النفس بالدنيا والآخرة. وقيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان. وقيل: لا ترى لنفسك فضلا على غيرك. وقيل: أن تكون خصما لربك على نفسك. وقيل: أن تنصف ولا تنصف. وقيل: حسن الخلق. وقيل: أن لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا. وقيل: ترك ما تهوى لما تخشى. وقيل: أن لا تميز بين من يأكل عنك ولي أو كافر. وقيل: كف الأذى وبذل الندى. وقيل: اتباع السنة. وقيل: فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها. وقيل: أن لا تدخر ولا

تعتذر. وقال القشيري: قال الأستاذ[1]: واعلم أن الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء. وسأل شقيقٌ البلخي جعفرَ بن محمد عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا. فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل. فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله ما الفتوة عندكم؟ فقال: إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا.

ومنها الفراسة وهي في اللغة التثبت والنظر، وعند أهل الله هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب. وقيل: خاطر يهجم على القلب فينبئ ما يضاده وله على القلب حكم وهي على حسب قوة الإيمان، فكل ما كان إيمانه أقوى كان أحدَّ فراسة. قالوا: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو وبلا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد. وقال الواسطي: إن الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهد له الحق سبحانه إياها فيتكلم على ضمير الخلق. وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان. وقال شاه الكرماني: حاد الفراسة لا يخطئ ويقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعوَّد أكل الحلال لم تخطيء فراسته. وقيل: فراسة المريدين تكون ظنا يوجب تحقيقا. وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة. وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحسون.

ومنها الجود والسخاء، قال تعالى: ﴿ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وفي الحديث: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي أحب

1 الأستاذ هنا هو القشيري نفسه، فإما أن يكون لفظ القشيري مقحما وإما أن يكون المؤلف نقل اللفظين معا كما هما في النسخة عنده.

إلى الله من العابد البخيل» أخرجه الترمذي[1] عن أبي هريرة. وفي الحديث «السخاء خلق الله الأعظم» أخرجه ابن النجار عن ابن عباس. وفي الحديث «السخاء شجرة من أشجار الجنة والبخل شجرة من شجر النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بعض منها قاده ذلك الغصن إلى النار» أخرجه الدارقطني في "الأفراد" والبيهقي عن علي[2]. ولا فرق على لسان أهل العلم بين الجود والسخاء، وحقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل. وقيل: الجود إجابة الخاطر الأول. وقال عبد الله بن المبارك: سخاء النفس عمل في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس.

ومنها الغيرة، قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، وفي الحديث: «ما أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منه وما بطن»[3]. وفي الحديث «إن الله يغار وإن العبد يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله تعالى عليه»[4]. والغيرة مشاركة الغير، ومن الناس من قال: إن الغيرة من صفات أهل البداية وأن الموحد لا يشهد الغيرة ولا يتصف بالاختيار وليس له فيما يجري في الملكة تحكم، بل الحق سبحانه وتعالى أولى بالأشياء فيما يقضي على ما يقضي. وقال عثمان المغربي: الغيرة عمل المريدين فأما أهل الحقائق فلا. وقل الشبلي: الغيرة غيرتان غيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب. وقال أيضا: غيرة الإلهية على الأنفس أن تضيع فيما سوى الله تعالى، والواجب أن يقال: الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لا يجعله للخلق فيظن به عليهم، وغيرة العبد للحق وهو أن لا يجعل شيئا من أحوله وأنفاسه لغير الحق تعالى، فلا يقال: أنا أغار على الله تعالى، ولكن يقال أنا أغار لله تعالى فإذن الغيرة على الله جهل وربما تؤدي إلى ترك الدين والغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له. واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا

---

1 "سنن الترمذي" ح 1884

2 "شعب الإيمان" 273/22

3 رواه البخاري ح 4272 ومسلم ح 4955 عن عبد الله بن مسعود.

4 رواه البخاري ح 4822 ومسلم ح 4959 عن أبي هريرة.

ساكنوا غيرا ولاحظوا شيئا أو ضاجعوا بقلوبهم شيئا شوش عليهم ذلك فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما ساكنوه أو ضاجعوه.

ومنها الولاية، ولها معنيان، أحدهما فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله أمره قال تعالى ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ فلا يكله إلى نفسه لحظة، والثاني فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته. فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان. وكلا الوصفين واجب ومن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون لله وليا، وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحبُّ أن تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا تغرب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسه لله تعالى وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك. وقال يحيى بن معاذفي صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصلهم إلى مقام الولاية. وقال سهل بن عبد الله: الولي الذي توالت أفعاله على الموافقة. وقال يحيى من معاذ: الولي لا يرائي ولا ينافق وما أقل صديق من كان هذا خلقه. وقال بعضهم: الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق سبحانه وتعالى تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التوالي لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار. وقال يحيى بن معاذ: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقين فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادوا عبادة على تفاوت أخلاقهم.

وعلامة الولي شغله بالله تعالى وقراره إلى الله تعالى وهمه إلى الله عز وجل. وقال الخراز: إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدا من عباده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة. فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى فحينئذ صار العبد زمانا فانيا فوقع في حفظه سبحانه وبريء من دعاوي نفسه.

ومنها الدعاء، في الحديث «الدعاء مخ العبادة»[1]. وقال أبو علي الدقاق: النداء مفتاح الحاجة وهو مسرح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوي المآرب. وقد ذم الله قوما تركوا الدعاء فقال ﴿ويقبضون أيديهم﴾ قيل: لا يمدونها إلينا في السؤال. ومن آداب

---

1 رواه الترمذي ح 3292 عن أنس بن مالك

الدعاء حضور القلب وأن لا يكون ساهيا. ففي الحديث «إن الله لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه»[1]. ومن شرائطه أن يكون مطعمه حلالا. قال عليه السلام[2] لسعد: «أطب كسبك تستجب دعوتك». وقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانها لقم الحلال.

وفائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه تعالى وإلا فالرب يفعل ما يشاء. ثم الدعاء أقسام: دعاء العامة بالأقوال ودعاء الزهاد بالأفعال ودعاء العارفين بالأحوال. وقال بعضهم: الدعاء ترك الذنوب. وقيل: الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب. وقيل: الإذن في الدعاء خير من العطاء. وقيل: الدعاء يوجب الحضور والعطاء الصرف والمقام على الباب أتم من الانصراف بالمثاب. وقيل الدعاء مواجهة الحق بلسان الحياء. وقيل: شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوحي الرضا.

ومنها الفقر، وهو شعار الأولياء وحلية الأصفياء، واختاره الله لخواصه من الأتقياء والأنبياء، والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط عليهم الرزق، والفقراء جلساء الله يوم القيامة، بذلك ورد الخبر. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة الفقر فقال: أن لا يستغني إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها. قال الشبلي: وأدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره. وقال النوري: نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود. قال أبو بكر الوراق: طوبى للفقير في الدنيا والآخرة. فسألوه عنه فقال: لا يطلب السلطان في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب.

ومنها الأدب، جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾: فقهوهم وأدبوهم. وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير، فالأدِب الذي فيه خصال الخير، قال الدقاق: العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى. وقال ابن عطاء: الأدب الوقوف مع المستحسنات، فقيل: وما معناه؟ قال: أن تعامل الله بالأدب سرا أو علنا فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد:

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكتت جاءت بكل مليح

---

1 هو تتمة الحديث السابق.

2 رواه الطبراني في الأوسط كما عزاه إليه الحافظ العراقي في "المغني" 72/2

قال أبو علي: ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن ساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب. وقيل للحسن البصري: قد أكثر الناس في علم الأدب فما أنفعها عاجلا وأصلها آجلا؟ فقال: التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عز وجل عليك. وقال ابن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم. وقيل: ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الأدب وكف الأذى.

والناس في الأدب على ثلاث طبقات، أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب. وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات، وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر. وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

ومنه الصحبة، وهي ثلاث أقسام، صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة، وصحبة مع من دونك وهي تقتضي على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة. فمن صحب شيخا فوقه في التربية فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقي أحواله بالإيمان به. قال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة. وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خذن لا يواتيك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وأكثر من ذكري تستوجب على شكري والمزيد من فضلي.

ومنها المعرفة، وهي صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ثم تنقى أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في الله مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتصريف أسرار لا قيما يجريه من تصريف أقداره سمي عند

ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة. وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه. قالوا: ومن علامة المعرفة بالله حصول الهيبة من الله من ازدادت هيبته ازدادت معرفته ولا يكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطي مثل سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين. وقال الشبلي: العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا بكلام غيره لافظا ولا يرى لنفسه غير الله حافظا. قال أبو سليمان الداراني: إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي.

ومنها المحبة، وهي حالة شريعة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد، وقد اختلفت أقاويل الشيوخ فيها. فقيل: الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب، وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب، وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: استغلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك. وقال سحنون: ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرء مع من أحب»[1] فهم مع الله تعالى. وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: إني إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي. وفي بعض الكتب المنزلة: عبدي، أنا وحقك لك محب فبحقي كن لي محبا. وأوحى الله إلى داوود عليه السلام: يا داوود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري فيها.

ومنها الشوق، وهو احتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق. وقال أبو عثمان: الشوق حب الموت مع الراحة. وقال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فِطام الجوارح عن الشهوات, وسئل ابن عطاء عن الشوق: فقال احتراق الأحشاء وتلهف القلوب وتقطع الأكباد. وقال السري: الشوق أجلٌّ مقام للعارف إذا تحقق فيه وإذا تحقق بالشوق لاهيا عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه. قيل: بكى شعيب حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فأوحى الله إليه: إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك وإن كان لأجل النار فقد أجرتك منها. فقال: لا بل شوقا إليك. فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر سنين. وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء.

1 رواه البخاري ح 5702 ومسلم ح 4779 عن ابن مسعود.

ومنها حسن الاستماع، قال الصوفية: أساس كل خير حسن الاستماع، قال تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ قال المفسرون: لو علمهم أهل الاستماع لفتح آذانهم للاستماع، فمن تملكته الوساوس غلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع. وقال تعالى ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾، قال الإمام الشبلي رحمه الله: موعظة القرآن لمن كان قلبه حاضرا مع الله لا يغفل عنه طرفة عين. وقال يحيى بن معاذ الرازي: القلب قلبان: قلب قد احتشى بأشغال الدنيا إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا. وقلب قد احتشي بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة، فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الفانية التي أقعدتك عن الطاعة. وقال بعضهم في الآية ﴿لمن كان له قلب سليم﴾ من الأغراض والأعراض. وقال غيره: لمن كان له قلب لا يخطر فيه إلا شهود الرب. وقال ابن سمعون: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ يعرف آداب الخدمة وآداب القلب. وقال محمد بن علي الباقر: موت القلب عن شهوات النفس فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها، فالسماع للإحياء لا للأموات. قال تعالى إنك لا تسمع الموتى﴾. وقد ورد: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات»[1]، وقال بعضهم في تفسير الآية ﴿لمن كان له قلب﴾ بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج عن الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه.

ومنها أن يكون مسلوب الاختيار مع الشيخ لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره، وللمقدم في ذلك اقتداء بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه الكرام معه كما هو مبين في كتب السنة وينبغي له السكوت في مجلس شيخه ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له في ذلك. وشأن المريد في حضرة شيخه كمن هو على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه فهو مع الشيخ ملازم للسكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولا وفعلا.

---

1 أخرجه أحمد في "مسنده" من حديث أبي هريرة 494/2

ومنها أن لا يحدث نفسه بمنزلة فوق منزلة شيخه، بل يحب للشيخ كلَّ منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد في حسن الإرادة وهذا يعز في المريدين فإرادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه، ويكون قائما بأدب الإرادة فينبغي أن يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا باسطه الشيخ برفع الصوت، تنحيه جلباب الوقار، والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع أن يشبع النظر إلى الشيخ. قال السهروردي: وقد كنت أُحَم فيدخل علي عمي وشيخي أبو النجيب السهروردي رحمه الله فيترشح جسدي عرقا، وكنت أتمنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ علي ويكون في قدومه بركة وشفاء، وكنت ذات يوم في بيت خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمي على المنديل اتفاقا فتألم باطني من ذلك وهالني الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من باطني من الاحترام ما أرجو بركته. وقال القشيري رحمه الله: كنت في بدايتي لا أدخل على شيخي أبي علي الدقاق إلا صائما مغتسلا، وكنت أحضر باب مدرسته غير ما مرة فأرجع من الباب احتراما واحتشاما منه أن أدخل عليه، فإذا تجاسرت ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه حذر حتى لو غرزت في إبرة ما كنت أظن أني أحس بها ولم أذكر أني في طول اختلافي على مجلسه ومذاكرتي معه بعد حصول الوصلة جرى على قلبي أو خطر ببالي عليه اعتراض إلى أن أبرح الدنيا رحمه الله. وقال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في رسالة له: ما نصه ومن شروط المريد إذا تكلم الشيخ في مسألة أن لا ينازع ولو بقلبه بل يقبل مقالة الشيخ بظاهره وباطنه سواء فهمها أو لم يفهمها فيكل الأمر إلى الله تعالى، ويعتقد أن الشيخ ما قال إلا الحق وما قصد غير الحق فإن من أخبر عما عاين وشاهد لا يجوز للسامع التنازع فيه بل يجب عليه في حكم الطريق التصديق إن كان مريدا والتسليم إن كان أجنبيا، فإن المريد إن لم يعتقد الصدق فيما يقول الشيخ لا يفلح أبدا، ومتى يفلح؟ وإذا رأيت المريد يمسل على الشيخ بالمسائل الشرعية والعقلية فقد نقض عهد الله وخالف أمانته، فإن الفكر حرام عليه والصمت أولى له والنظر في الأدلة مقصور عليه، فإن كان هذا شأنه فيجب على الشيخ طرده عن حضرته فإنه يفسد عليه بقية أصحابه ولا يفلح في نفسه.

ومنها أنه إذا أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليه السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بدقيقة ما يوجد من الشيخ، فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة. قال بعض المشايخ: من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب، وقيل: من قال لأستاذه: لم؟ لا يفلح أبدا، وفي "جامع" الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتركوني ما تركتكم وإذا حدثتكم فخذوا عني فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[1]، ولا ينبغي للمريد أن يكتم عن الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحيي من كشفه إيماء وتعريضا، فإن المريد متى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ صريحا وتعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق، وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول، وينبغي له أن لا يدخل مع الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وإنه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر لا يتصفوا صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فإن المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته. والمحبة والتألق هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله.

ومنها تعظيم ما عظم الله وعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التسليم لأهل الطريقة فيما يحكى عنهم، من كل ما يرى منه أو يسمع ولابد له من حسن الظن بالناس أجمعين وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وخدمة الفقراء برؤية الفضل لهم في ذلك حيث ارتضوه خديما، وحمل كلهم وتحمل أذاهم وجفاهم والصبر بالله على أخلاقهم وطلب شخص موقف يعينه على ما هم بصدده، فإن المؤمن كثير بأخيه؛ فإن المريد إذا أصدق الله في الطلب قيض الله له من يأخذ بيده وصيّر كل شيطان في حقه ملكا يلهمه الخير.

---

1 "سنن الترمذي" ح 2603

ومنها مراعاة الوقت الذي هو فيه وينظر ما قاله الشرع فيعمل فيه، فإن كان في الوقت فريضة أداها وإن كانت في الوقت مندوبا بادر إليه، وإن كان في الوقت مباح شغل نفسه به من الخير وإذا شرع في عمل فلينو به امتثال أمر الله، ولا يحدث نفسه بأنه يعيش إلى عمل آخر وليجعل ذلك آخر عمله في الدنيا التي يلقى ربه به، فإن بذلك تخلص الأعمال ومع الإخلاص يكون القبول.

ومنها أن لا يقرب باب السلاطين وأهل الدنيا المتنافسين فيها، فإنهم يأخذون بالقلب عن الله، فإن اضطره الحال إلى صحبتهم فليعاملهم بالنصيحة، ولا يخنهم فإنه يعامل الحق، وليكن في عموم أحواله مصروف الهمة بالتوجه إلى الله في تخليصه مما هو فيه بما هو أحسن في دينه وليجعل نصب عينيه قول الإمام الشاطبي:

قل للأمير مقالة   من عالم فطن نبيه
إن الفقير إذا أتى   أبوابكم لا خير فيه

وقد نصوا على أن صحبة أهل الدنيا سم مجرب للمريد لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم. قال الله تعالى { **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** }. وصرحوا بأن الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى.

ومنها أنه لا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة، بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعي مع الله تعالى حده فيما يتوجه عليه من الأمر والعلم كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول. وقد نصوا على أن قبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطأ.

ومنها وهو أساس بناء هذا الأمر وملاكه حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المد إلى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عن المحظورات وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات وأن لا يستحل مثل سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات.

فخذ أيها المريد هذه الرسالة التي اشتملت على **أحد وأربعين** أمرا؛ واعلم أنك إذا أكثرت التأمل وأجلت النظر في هذه الآداب، وذقت معانيها وشربتها باللحم والدم صرت من الكرام البررة الأنجاب، ثم اعرض أحوالك عليها فإن كنت قد اتصفت بها فاحمد الله تعالى واطلب منه المزيد، وإن كنت بمعزل عنها وهي في واد وأنت في واد.

صارت مشرقة وصرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

فابك على نفسك بكاء الثكلى واقرع سن الندم وبادر بالإنابة والرجوع إلى الله تعالى واستأنف العمل، وارج من الله بلوغ الأمنية وتمام الأمل، وقل بلسان الذل والاحتقار، والجأ إلى الله والاضطرار: الله أصلح منا ما ظهر وما بطن ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا واجذبنا إليك جذب الصديقين وارزقنا إنابة المخلصين، وعمل المتقين، وعاملنا معاملة المحبوبين، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وهنا انتهى بنا الغرض الذي قصدناه، واستوفى المطلوب الذي رمنا له، وهو المسؤول تعالى إلى أن يجعله من العمل المقوبل والسعي المشكور بفضلك وكرمك يا رحيم يا غفور.

آمين والحمد الله رب العالمين.

ووافق خروجه من مبيضته عشية يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول عام 1343 على يد جامعه محمد بن محمد الحجوجي كان الله له آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم

القول المحكم

في صفة المقدم

للعلامة المحدث

محمد بن محمد الحجوجي الحسني

1297-1370 هـ

اعتنى به

أبو عمر عدنان بن عبد الله زهار

الحمد لله الذي بطاعته تتم الصالحات، وباتباع سنة نبيه تنزاح عنا السيئات، والصلاة والسلام على عين الرحمة وسراج الأمة وسيد السادات، مولانا محمد إمام الكل وسند الكل السالك بأمته أعلا طرق النجاة، وعلى آله وأصحابه الموصوفين بأكمل الصفات.

أما بعد، فإن القصد بهذه الرسالة تنبيه الإخوان وإيقاظ الأصدقاء والخلان لصفة المقدَّم وذكر الأوصاف المحمودة والمذمومة فيه؛ حملني على ذلك ما رأيته في هذه الأزمان

المتأخرة من التساهل في ذلك حتى اتسع الخرق على الراقع، وكثر المدعون للتقديم بالكذب ولا منازع لهم في ذلك ولا مراجع، وإلى الله المشتكى، وعلى بابه الاعتماد والاتكال.

ولا بأس أن تسمى هذه العجالة:

"القول المحكم في صفة المقدم"

وقد انحصر الكلام فيها في سابقة ولاحقة تكسب من اتصف بأوصافها الحميدة رفعة عند الله تعالى وللخلال السيئة ماحقة، وقد عنَّ لي الشروع في المقصود بعون مولانا الغني الودود:

السابقة: اعلم أن المقدّم عبارة عن إنسان قُدم لتلقين أوراد شيخه، قدمه شيخه أو من له إذن صحيح في ذلك، وقدم أيضا لخدمة إخوانه المريدين وللقيام بحقوقهم أتم قيام قدر استطاعته وإرشادهم لطريق النجاح والسعي بغاية جهده ووسعه فيها يقربهم إلى الله زلفى، وحثهم على ترك الأفعال الذميمة شرعا وعادة حتى يصل المريد إلى مولاه.

وقد حصل على جملة من الأخلاق الحسنة والآداب الشرعية المستحسنة لأن مقصود المريد هو الوصول إلى حضرة العلي الأعلى ونمو محبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه، واتباع سنته قولا وفعلا، وذلك أساس الطريق وثمرتها عند كل فريق.

فالمقدم من أجل هذا المعنى كأنه مرب في طريقة أستاذه فينبغي أن يكون متصفا بأوصاف حميدة:

منها أن يكون واقفا عند الحدود مراقبا للملك الحق المعبود لا دلالة له إلا عليه ولا استناد له إلا إليه، فهو دائما وأبدا لا سعي له إلا فيما يرضى مولاه ولا التفات له لغيره في سره ونجواه، فكل أموره لله وفي الله، إن تكلم ففي ما يحبه الله، وإن سكت فلعمارة باطنه بمولاه، قد طهر باطنه من سواه إذ لا أحد يرجى لجميع المهمات دونه؛ مع ملاحظة وساطته صلى الله عليه وسلم في كل شيء دق أم جل، فالله المعطي وهو القاسم.

ومنها أن يكون همه إقامة المفروضات على وجهها الشرعي، حتى إنه إذا تلبس بعبادة كأنه ما خلق إلا لتلك العبادة، قد استغرق قلبه فيها وشعر بأنه تعالى مطلع عليه

ومراقب له، لا أنه محافظ على وجودها فقط من غير إقامة لها على الوجه المذكور فتصير عادة من العادات، حينئذ كالأكل والشرب كحالتنا نحن معاشر العامة أصلح الله حالنا بمنه.

ومنها أن يكون متواضعا لين الجانب حيا كريما عالى الهمة عن سفاسف الأمور تقيا غاضا بصره عن محارم الله حافظا لسانه من الغيبة والنميمة صفوحا للإخوان عن الزلات لا يعرف للكذب سبيلا ولو في حالة البسط والانشراح، قليل المزاح، حافظا لحرمة شيخه، مجزئا أوقاته على أجزاء: جزء لإقامة صلاته وأذكاره وسائر عباداته لله تعالى، وجزء لأهله وعياله يقوم فيه بما كلفه الله به من تعاطي الأسباب مع التحري في ذلك بغاية وسعه، وجزء لإخوانه يتفقد فيه أحوالهم، فمن كان مريضا عاده ومن مات ذهب لجنازته ومن كان جاهلا علمه ومن كان عائلا أعانه بما استطاع من غير كلفة ومن كان مهموما سلاه حتى يرجع مسرور الخاطر.

ومنها أن يكون ناظرا إلى سائر خلق الله بعين الرحمة والشفقة، فإن الخلق كلهم عيال الله، وإن استطاع أن ينفع أحدا من المسلمين بشيء ولو قل فليفعل فإن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، ولا يحقِّر مسلما ولا يفشي له سرا ولا يغتابه، وأن يكون معترفا بالجهل من أول مرة، ولا يقدم على الإفتاء بشيء إلا بعد التثبت وكمال في التحري، وإذا توقف في مسألة علمية رفع أمرها لأهل العلم، وأن يكثر من قول لا أدري إذا سئل، وإذا تعارض عنده أمر الدين وأمر الدنيا قدم أمر الدين، فإن بسبب ذلك يسهل عليه أمر الدنيا.

ومنها أن يعوِّد لسانه ذكر الله على كل أحيانه حتى يصير ذلك له عادة من العادات، هِجِّيراه[1] كثرةُ الصلاة على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فإن بذلك يتقوى إيمانه ويتنور باطنه وذلك سبب السعادة الأبدية والنجاة يوم الفزع الأكبر من كل بلية.

ومنها أن لا يحوم حول الرياسة بوجه من الوجوه، لأنها كعبة تطوى فيها جميع الشرور وقديما قيل: حب الظهور قاصم للظهور, فإن كل من طلب النجاة غدا يوم القيامة لا يستحسن شيئا من أمور نفسه بل لا يرى عملها إلا بعين رده وبخسه، فإن أعمال العبد كلها

1 قال في "القاموس المحيط" 30/2: وهذا هِجِّيراهُ وإِهْجِيراهُ وإِهْجِيراؤُهُ وهِجِّيرُهُ وأُهْجورَتُهُ وهِجْرِيَّاهُ، أي: دَأْبُهُ وشأنُهُ

معلولة وعقدها عند الاختبار محلولة، فلا ينبغي أن يرى فضله على أحد ولا غيره، ولا يبصر ناقصا في الكون غيره لأنه يعرف الظاهر والباطن من نفسه أتم معرفة، وأما غيره فلا يظن به إلا الخير إن أنصفه، والمقدمون أحق الناس بهذه البشرى وأنسبهم إليه وأقرب.

ومنها أن يكون غير مبال بالدنيا أقبلت أم أدبرت، التبر والتراب عنده سواء، بل وجدان الراحة عند فقدها ديدنه وعادته من دون مرية ولا افتراء، فهو إذا وجدها في غنى بمولاه عنها، إلا ما لا بد منه مما تقوم به ضرورة الحياة، وأما قلبه فخلو منها ومن حبهالا ليته إذا فقدها أرعد وأبرق، وقامت قيامته وعظمت حيرته، فهي شرعه وديانته، فهو من أجلها يشتكي ويبكي، وعليها بقلبه يعتمد ويتكي، فما أبعد من هذا وصفه عن التقديم لاتصافه بهذا النعت الذميم,

ومنها أن يسعى في تطهير نفسه وتزكيتها حتى تصير لها بصيرة نافذة، فلا تمر عليه خدع النواميس المتلبسين المكارين الخداعين الداغلة قلوبهم المحشوة مكرا وحيلا أعوان إبليس الذين هم ذياب في ثياب، فلا ريب أنه إن صقلت مرآة باطنه بإثمد المعارف الإلهية ميزه بين الغث والسمين وظهر له المحق من المبطل من دون مين، فيعطى كل قسم ما يستحقه ويعامل كل امرئ بما يوافقه.

ومنها أن يكون همه ترقية إخوانه ومريدي أستاذه، فتراه تارة يحثهم على تعاطي الخير وأسبابه ويذكر لهم ما في ذلك من أوفر الأجور، وطورا يعظهم بالموعظة الحسنة ويأمرهم برفع الهمة عن سفاسف الأمور، وآونة يذكر لهم أثر النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ومناقب أصحابه وشمائل الصدر الأول وما خصهم الله به من الأوصاف الحميدة والسعي المشكور، وتارة يذكر لهم مناقب شيخهم وما كان عليه من الجد وطاعة الله تعالى والخوف منه في الورود والصدور، وأخرى يذكر فضائل أصحابه وخلفائه ومقدميه ونشر محاسنهم وما خصهم الله به من سني الخلال، فهم الذين بلغوا إلينا الطريقة غضة طرية ما شابها كور المحدثات وحفظوا رسومها وقواعدها وأسرارها في خلواتها وجلواتها ورياضاتها فهي بعز الواحد الأحد محفوظة فمن رام حولها كان:

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهن قرنه الوعل

فعلى المقدم أن يذكر محاسن طريقه ويبث ذلك في صدور المريدين حتى تثبت الطريقة في قلوبهم ويحصل المريد على المحبة الكبرى في طريقه وفي أستاذه ويجمع همته عليه، وكذا يتعين عليه أن يحض المريدين بكل وجه على محبة أهل الله وتعظيمهم في السر والعلانية ومجانبة من يبغضهم؛ فلا جرم أن بذلك يتم صلاح المريد وتفتح له البصيرة فيصير على بينة وبصيرة في دينه لا يصده عن طريقه طارق ولا يغره مدلس فيها ولا ناعق.

ومنها أن يكون كثير السعي في الإصلاح بين الإخوان، ومهما رأى فتنة اشتعلت سارع في إطفائها بغاية وسعه، وليكن سعيه في ذلك لله وفي الله لا لغرض من الأغراض، صارفا همته في جمع قلوب إخوانه على الله حتى تصير كأنها قلب رجل واحد لينة بطاعته والخوف منه، بعد أن كانت القلوب منهم مختلفة والآراء متباينة والعقول منهم بالمعاصي مكدرة وعن طريق الحق والهدى معوجة، فتم به صلاحها وكمل بسببه نجاحها.

ومنها أن يجعل فسحة من الزمان لتعليم إخوانه أمر دينهم من أحكام استبراء وطهارة وصلاة وزكاة وصيام وحج، وكذا ما يحتاجون إليه من أحكام البيع والشراء ونحوه، ويأتي في ذلك بأوضح عبارة وأبين إشارة مكررا ذلك المرة بعد المرة، وخصوصا لمن كان مبتدئا في الطريق، فإن القيام بهذا الحق آكد وظائف المقدمين، سيما في هذا الزمان، فإن الذي صار الناس أعظم أجرا وأرفع لدرجات العبد وأجل ذخرا من كثير من نوافل الخيرات ومن التستر عن الناس في الفلوات والخلوات.

ومنها وعنها ما لا يحصى من الأوصاف الكاملة المطلوبة والآداب ولكن فيما ذكر غنية وتبصرة وما يتذكر إلا أولوا الألباب.

اللاحقة: اعلم أنه ينبغي للمريد التجاني أن يتثبت ولا يكون غرا بالأمور، فإن القوم عن الحق انحرفوا والمدعون للتقديم كثروا وبأنواع من التلبيس والفجور ظهروا، وكل طائفة وفرقة منهم اتخذت منهاجا بما تتمشى عليه وناموسا غريبا تجلب الناس إليه، تميد به أصحاب العقول السخيفة والحجب الكثيفة حتى استع الخرق على الراقع وعظم بسببه الواقع، وكل فريق من هؤلاء البطالين بمعزل عن سبيل النجاح الشريف الذي أسس طريقته الأحمدية على قواعد الدين الحنيف.

فإن شيخنا قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه، جعل مبنى طريقه على اتباع السنة الغراء قولا وفعلا واقتفاء أثر السلف الصالح شبرا بشبر وذراعا بذراع، فلا يزيغ عن سنتهم السوية إلا هالك ولا يجعله وراء ظهره إلا من أدخل في الدين ما ليس منه وذلك أخبث المسالك.

فقد أكثر رضي الله عنه من حثنا في رسائله ووصاياه على ما يجمع قلوبنا على الله تعالى، وطال ما حذرنا من الالتفات بالباطن للعرض الفاني وخصوصا لما في أيدي الإخوان، وكان يزجرهم على التشتيت والتبذير، ويأمر بالتعفف عنهم والرفق بهم، وينهى عن طلب الدنيا منهم بكل وجه وبكل اعتبار لا قليلا ولا كثيرا إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب، فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور.

فلأجل هذا المعنى اقتضى المقام أن نوضح للإخوان بعض طوائف المدعين للتقديم كذبا لئلا يظن ظان أنهم من أهل طريقنا مع أنه ورب الكعبة بمعزل عنها وعن سبيلها.

أيها المدعي سليمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت من سليمى كواو ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو[1]

وليعرف الناس كيف يتزيى أهل البطل بزي الصالحين الصادقين ليكونوا على بصيرة من غوائلهم، قال جل من قائل ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

فمن هؤلاء البطالين طائفة تدعي التقديم وتتزيى بزي أهل النسك وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والمقصود أمام، حتى إذا تمكن حبهم من قلب الإخوان حثوهم على بذل المال ولكن لهم، فظهر بذلك قصدهم وخاب والله سعيهم.

أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا

وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا

لو رأوه في الثريا ولهم ريش لطاروا

ومنهم طائفة دأبها حكاية المنامات والمرائي في كل ناد وفي كل محفل، قد صرفوا نفيس عمرهم في ذلك، فترى الواحد منهم يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي

---

1 البيت لأبي نواس.

كذا وكذا، ورأيت الشيخ رضي الله عنه لقنني كذا وأعطاني سر كذا ومنحني مقام كذا وضمن لي وصول كذا إلى غير ذلك من الخرافات الواهية التي هي أوهى من نسج العنكبوت.

ومنهم طائفة تصدرت لتلقين الأوراد فترى الواحد منهم تارة يعطي هذا مركزا ويأمر لهذا برياضة كذا ويدخل هذا للخلوة، فهو بحسب فهمه السقيم يرفع ويضع ظنا منه أنه على الصراط المستقيم، وربما وجد ورقة لم يدر صحتها ولا شروطها ولا عرف لوازمها ولا أخذ شيئا من ذلك من عارف كامل مرشد فرقص بها مدة وقام وقعد وظن أنه واصل بها إلى رضى الكريم؛ نعم وصل ولكن لسيل لظى والجحيم، ثم تصدر لإعطائها للخلق من غير معرفة فرق بين الناس على اختلاف الأنواع منهم والأجناس.

ومنهم طائفة تصدرت لبيع تقاييد الأذكار والأسرار والإجازات فحوانيتها مفتوحة لمن أراد الشراء فكانت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم، فهم عليها يحتالون ولدينهم بها بائعون وفي سبيلها يموتون وعلى حبها والنهم فيها يبعثون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومنها طائفة تترأس على الفقراء ترأس الحكام والأمراء فكلمتهم فيها نافذة فهم لأمرهم طائعون ولما نهوهم عنها منتهون، لأنهم إذا لم يطيعوهم شكوهم إلى الحكام فكانت الإذاية أفظع والمصيبة أعظم، فالمقدم من هؤلاء يظن نفسه أنه سلطان كبير وما هو بفعله هذا إلا ذليل عند الله حقير.

ومنهم طائفة نصبت نفسها للدوران على الفقراء الكبير منهم والصغير دوران الرحى على القمح والشعير، فلا تكاد تترك لهم من الدنيا نقيرا ولا قطميرا إلا أن يتداركهم الله بلطفه، فيكون عمر هذا المخذول قصيرا فيحصل لهم بموته الفوز الكبير.

ومنهم طائفة تأمر من اخذ عنها بعدم الالتفات إلى سواها فالواجب منهم، إذا بلغه أن فقيرا أخذ عنه وزار مقدما غيره قامت قيامته وخرج عن إحساسه وارتعدت فرائصه بسبب ذلك، سيما إذا تصدر ذلك الغير للصلاة بمحضره أو فتح ذكرا أو ختمة فذلك الطامة الكبرى والداء الذي لا علاج له؛ فتراه يشتكي للناس ويقول ما بقي في الدنيا خير والصغير لا يعظم الكبير، ولكن المسكين مولانا المقدم خاف على منصبه المستعمل أن يرجع إلى الانحطاط عند الناس كما هو عند الله في الواقع كذلك، فلأجل ذلك ما استقر له قرار ولا

وجد في نفسه صبرا على ذلك، وأما إذا قبلوا يدا لغيره بمحضره وتركوه فكأنما قتلوا نفسا في غيبته وفي دمها زورا أشركوه.

ومنهم طائفة ألزمت نفسها الحط من منصب سلفنا في الدين والطريق، وتصدرت بإظهار منصبها، والمخدولون أمثاله يستحسنون قوله ولكنهم معذورون: فمن أين ترى الشمسَ مقلةٌ عمياء؟

ومنهم طائفة جعلت هجيراها اللهج في الأندية والمحافل بالأذكار الغير اللازمة، واستغنت بذكر ذلك عن ذكر فضائل الأوراد اللازمة، فحالها كحال من ترك فرضا من فرائض الصلاة واكتفى ببعض نوافل الخيرات، فلا تحصل هذه الطائفة على الرباح وترقص مع الكاملين في البساط حتى يلج الجمل في سم الخياط.

ومنهم طائفة صرفت نفيس عمرها في النظر للأغنياء والاهتداء بهديهم والسير على منهاجهم وطريقهم، وتكلفت على جمع الحطام واستغرقت غالب الوقت في ذلك، فهم إذا فقيرا صغرته نفوسهم، فإذا تكلم الغني استمعوا له وأنصتوا وأذعنوا لكلامه وإن كان خطأ، وإذا تكلم الفقير وإن صادف الحق والصواب كانوا غير مكثرتين بقوله، فهو عندهم حقير وعند الله جليل كبير.

ومنهم طائفة تدعي المقامات والأحوال فتراه يرجع الإذن عن هذا ويرقي بدعواه هذا، ويضع هذا ويسلب هذا ويعطي المرتبة الفلانية لهذا. ومن لم يأته بزيارة نظر إليه شزرا وربما سبه وشتمه، فهو بذلك شيخ ولكنه من شيوخ إبليس.

ومنهم طائفة اشتغلت بجمع أوراق الإجازات والإكثار منها وهي بذلك كأنما نشطت من عقال، تسرد ذلك في المحافل ظانة أنها حصلت على الطائل، نعم أحرزت ولكن على غرض زائل وحظ مشوب وعن طريق الرشاد حائر ومائل، فإذا قال لهم قائل: يا هؤلاء لا تغرنكم الأوراق والطروس واشتغلوا بتهذيب النفوس، قالوا له: إليك عنا فإنا عن ذلك في غنى، وعن ذلك المقام قد علونا، فقد أخذنا الإجازة العامة الشاملة المطلقة من الخليفة القطب الغوث سيدي فلان، فلولا أنه رأى فينا الأهلية التامة ما أجازنا، ووصفَنا فيها بالبركة الأجل التقي الأحفل وكيت وكيت...مساكين، غرهم سواد الأوراق حتى أعرضوا عن طاعة الملك

الخلاق، فلا تزال القلوب منهم معمرة بحب تلك الأوراق والولوع بسردها بمحضر الناس حتى يعجلهم الحِمام، وهم مكبلون في شهواتهم ما انتبه أحد منهم ولا فاق.

ومنهم طائفة ضيعت عمرها في طلب المستلذات من المطعومات والمشروبات، فتجده صارفا لذلك وجهته قائلا: أكلْنا عند سيدي فلان كذا وكذا من الأطعمة، فلان أقل منه ولكن طعام الثاني ألذ، ولكن فلان أتحفنا عند الخروج بدريهمات، فلان لولا حيائي منالجماعة لزدت من الأكل فأهله أشد الناس إتقانا لذلك النوع من الطعام، فلان كان طعامه من الجنة...إلى غير ذلك من الألفاظ الدالة على أن قلب صاحبها ممتلئ شهوة بهيمية.

ومنهم طائفة أكثرت من تجميل الثياب وتسريح اللحية وتسوية العمامة وكبرها فما هي عمائم ولكنها أبراج حتى إنك إذا لقيت الواحد منهم قلت هذا وزير ورئيس من رؤساء الدولة، فما شئت من عظم واحمرار الخد وكثرة الأكل وتعمير الفضاء وكثرة الدخول للخلاء، قد انقضى عمره في ذلك ولا رجع ولا ارعوى عن سلوكه لهذه المسالك.

ومنهم طائفة نصبت لناموسها أعوانا تنفعهم، باطنا وهم يزيدون في الطين بلة وفي الطنبور نغمة، فتراهم إذا لقوهم بإزاء الناس أكثروا من تعظيمهم وطلب الدعاء منهم والتملق بين أيديهم، وإذا دخل واحد من الأعوان لوليمة قال: إن سيدنا المقدم الآن يأتي فاشتغلت الناس بالتهييء لقدومه، فإذا قدم قاموا إجلالا له فتقوم الناس تبعا لهم ثم يجلسونه في صدر المحفل ثم يدقون به بطرفين كأنما على رؤوسهم الطير، ومولانا المقدم لا كثر الله في الإسلام والمسلمين أمثاله يتكلم بكلام يحتاج إلى ترجمان يعرب ذلك اللفظ عن كون صاحبه قد امتلأ قلبه بحب العاجلة، فهو نحوها يدندن وعلى حبها يوح ويبين.

ومنهم من لا يحصى ناموسه، فهم يتفننون في ذلك على أساليب غريبة، ومناهج عجيبة، ومع ذلك ففي قلوبهم عن سماع الملام هيام، وفي آذانهم عن قبول الحق صمام، وفي فكرتهم غفلة، وهي تفعل بالمرء ما لا تصنع المُدام.

فاستيقظوا أيها المقدَّمون من سنة الغفلة فإن الدنيا أضغاث أحلام وهذا في الظاهر موعظة، وفي الحقيقة أنكى من وقع السهام، واعتبروا ذلك واختبروا نفوسكم وزنوها بهذه الموازين وانظروا حال من أسرج باطنه بنور الهدى وأطاع ربه واستقام، وحالَ من ترك نفسه في هواها فهي مظلمة بما اقترفت من الذنوب والآثام، وتيقنوا أن الموت نازل بنا عن

قريب ولا ينفعنا ما نكتسبه من الوجاهة بين الخلق ولا ما نجمعه من الحطام، فالبدار البدار لفعل ما يرضى الله ويورث الخشية منه ومراقبته في الإقدام والإحجام، واتهموا نفوسكم وازجروها ولا تتبعوا هواها، فإن اتباع الهوى أصل كل معصية وحزن واغتمام، فلا جرم أن الإنسان إذا عرف دسائسها بعثه ذلك على تقديسها وتزكيتها من الرعونات الشيطانية وتحليتها بالأوصاف النورانية، فيحصل بسبب ذلك على المقصود الأعظم ويكون حينئذ من الفائزين الأئمة الأعلام.

وإنما ذكرت هذه مع كون الذي مر من الأوصاف المذمومة، وفي قلبي القاسي ما لو ذكرت بعضه لدكت بسببه الجبال الرواسي، والله يعلم أني ما قلت هذا تواضعا مني ولاهضما لنفسي، ولا افتقارا أو ازدراء أو تعينا لأحد من أبناء جنسي؛ وإنما ذكرت ذلك لأن العلماء ذكروا أن أول النار شرر، والسكوت على أهل الباطل أصل الضرر، فسردتُ هذه الجملة على عجل نصيحة لنفسي ولإخواني، خوف أن يخدعني وإياهم ماكرٌ متلبس من أعوان إبليس،أظهر للناس أنه من الطبقة العليا من أهل النزاهة والتقديس، وإن كان ولله المنة طال ما نبهنا أشياخنا المقدمون أصحاب البصيرة النافدة الرشيدة والآراء السديدة قدس الله أرواحهم في النعيم المقيم وحشرنا وإياهم في زمرة سيد السماوات وشفيع الخلق يوم الموقف العظيم، وحذرونا رضي الله عنهم خوفا علينا من فتنة هؤلاء المغرورين وجعلوا ذلك في مؤلفاتهم في سلك النصيحة والإرشاد للإخوان جزاهم الله عنا أحسن الجزاء وعمهم بالرضى والرضوان.

لا يخفى على ذي لب أن ذلك ردعا لما عسى أن يطلع عليه من أحوال هؤلاء البطالين من سل سيف الإنكار على أهل الله الأتقياء الأبرار فيجد ذلك سلما يصعد به إلى شن الغارة على المحقين الأبرياء قائلا: أهكذا يكون المقدمون الذين تصدوا لتربية المريدين؟ وهكذا وصفهم؟ ما هؤلاء إلا عبدة الدنيا قد ولهوا فيها وبزخرفها والانكباب على جمع حطامها والترأس على أبنائها وكذا وكذا... وما درى المنكر أن هؤلاء المخذولين لاحظ لهم في الطريق بإجماع أهل النظر الصائب من أهل هذا الفريق، وإنما هم دخلاء ومن التعلق بأذيالها بعداء، فيكون هذا منا تبيينا وفضيحة لحالهم وزجرا وردعا لأمثالهم، وقذىً في عين المنكر الذي امتحن ببلية الإنكار على الخاصة العليا من أهل الله الأخيار، يتبين به أحوال

المقدمين الصادقين الذين فرغوا من تهذيب أنفسهم وأقامهم الحق جلا وعلا لإرشاد الخلق للطريق المثلى، فكان تصديهم لذلك من عند أنفسهم بل بإذن رباني لله وفي الله، لا لحظ زائد؛ فاعقل ذلك والله يتولى هدانا جميعا.

ولنمسك عنان القلم في هذا المجال، فإنه قُل من جل، وليقس ما لم يقل، اللهم اغفر ما طغى به القلم وزلت به القدم، فإن للعقل نومة وللفهم غفلة وللعبد زلة، وفي هذا القدر كفاية في النصيحة والإيقاظ للإخوان وبركة، والله يوفقنا لما فيه رضاه في السكون والحركة، وصلى الله على سيدنا محمد الجامع لعلوم الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه والتابعين ما كتب قلم في طرس فكان في ذلك إرشاد للناظرين والسامعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.اهـ